

إن الحمد لله نحمده ونستعين به ونستغفره ونعوذُ بالله تعالى من شرورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له

وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًاﷺ عبده ورسوله

وبعدُ..

فإن أصدق الحديث كتابُ الله تعالى، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشر الأمورِ مُحدثاتها وكل مُحدثةٍ بدعة وكلَ بدعةٍ ضلالة وكل ضلالةٍ في النار

ثم أما بعد ...

إن شاء الله هذا أول دروسنا في شرح مادة العقيدة من كتاب

أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة

بين يدي الكتاب لابد من التعرف أولا على :

ما هو علم العقيدة؟

وما هي مصادره؟

وما هي خصائصه؟

يعني تمهيد لهذا العلم.

العقيدة في اللغة: من العقد، وهو الربط والشد بقوة وإحكام.

إذن العقيدة في لغة العرب في" المحيط العربي" نقول له ماذا تفهم من كلمة عقيدة؟

يفهم أن مادتها اللغوية تدور حول الشد والربط والإحكام.

وفيها معنى الصلابة، وكانت العرب تقول "اعتقد العسل"

يعني غلُظ وصلُب.

وفيها معنى الاتخاذ يقول "هذا البستان قد اعتقدته"

يعني اتخذته، فالله سبحانه وتعالى يستعمل هذه المادة اللغوية في القرآن أو ذكرها في القرآن وقال : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ}[المائدة: ١]

فالعقود هي المواثيق أو العقود الشديدة.

فالعقيدة مأخوذة من هذا الأمر لغة،

إذن العقيدة في اللغة: مداره على الربط والشد بقوة وإحكام والصلابة وغير هذا.

وكل ما عقد الإنسان عليه قلبه جازماً به فهو عقيدة فكل شيء يتمكن من قلبك بشدة وقوة ويربط عليه هو يسمى عقيدة،

سيان كان هذا الأمر صحيح أم خطأ،

أمر شرعي أو غير شرعي يسمى عقيدة.

العقيدة في اصطلاح المسلمين:

علماء المسلمين عندما استعملوا هذه الكلمة استعملوها في:

الإيمان الجازم بالله عز وجل وما يجب له، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر،
وبكل ما جاءت به النصوص الصحيحة من أصول الدين وأمور الغيب وأخباره.

يعني العلماء عندما يستعملوا كلمة العقيدة هناك شيء يسمى اصطلاح، أي اتفاق، فالعلماء اتفقوا على أن يستعملوا هذه الكلمة ترمز إلى شيئين، وتطلق بإطلاقين :

الإطلاق الأول : المعتقد، وهو الشيء الذي نعتقده، وهذا هو التعريف الذي معنا، وهو الإيمان الجازم بالله عز وجل وما يجب له في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته والإيمان بأركانه الستة وأصول الدين والأمور الغيبية وما أجمع عليه السلف الصالح وغير ذلك.

إذن هذا هو معنى كلمة العقيدة.

وكذلك معنى العقيدة بمعنى الاعتقاد أي فعل الإنسان نفسه، ولكن المقصود في العلم هنا ما يتم اعتقاده.

في ماذا يبحث علم العقيدة؟

وما الموضوعات التي تبحث في علم العقيدة؟

أول موضوع يُبحث فيه علم العقيدة هو:

موضوع التوحيد

وسيأتي معنا تفصيله بعد قليل.

الكلام عن الإيمان والإسلام والأسماء والأحكام

من المؤمن؟ من المسلم؟ من الكافر؟ من الفاسق؟

الكلام عن النبوات

الكلام عن القدر

الكلام عن الغيبيات

الكلام عن أصول الأحكام القطعية

وهي المتفق عليها بين المسلمين

وتُلحق بعض المباحث بهذا العلم مثل:

الكلام عن عقيدة الصحابة وآل البيت

الكلام عن الحُكّام

الكلام عن الرد على أهل البدع

الكلام عن الاعتصام أهل السنة

كل هذا يلحق بمباحث علم العقيدة.

علم العقيدة له أسماء أخرى عند السنة غير كلمة العقيدة،

بعض الناس يسميها توحيد.

عندما أقول كلمة عقيدة تكون بالمعنى الذي قلناه.

وبعض أهل السنة صنّف كتاب مثل "شرح اعتقاد أهل السنة"،

إذن هذا يسمى اعتقاد.

لماذا بعض الناس يسمونه التوحيد؟

لأن هذا أجلّ مسائل العلم هو علم العقيدة وهو توحيد الرب سبحانه وتعالى.

إذن علم التوحيد هو علم العقيدة.

مثل: "التوحيد" لابن خزيمة ،

التوحيد في جامع كتاب صحيح البخاري ، كتاب "اعتقاد التوحيد" لأبي عبد الله ابن الخفيف، وكتاب "التوحيد" لابن منده أيضاً، وكتاب "التوحيد" للإمام محمد بن عبد الوهاب....كلها تسمى كتب التوحيد.

كذلك هذا العلم يسمى السنة،

لماذا السنة؟

لأن المقصود بالسنة في اللغة أي الطريقة، والمقصود طريقة النبي ﷺ والصحابة في الاعتقاد.

ومن الذي صنّف المصنّفات باسم السنة؟

مثل كتاب "السنة" للخلال، "السنة" لابن أبي عاصم،

السنة لعبد الله بن أحمد، وغير هذا.

هذه كلها أسماء علم العقيدة.

كذلك يسمى أصول الدين، ويسمى الفقه الأكبر،

كتاب "أصول الدين" للبغدادي، وكتاب "الشرح والإبانة عن أصول الديانة" لابن بطة، وكذلك "كتاب الإبانة عن أصول الديانة" للأشعري.

وتسمى أصول الدين أو أصول الديانة، لماذا؟

لأن في هذا العلم يعني ذكر أصول الإسلام والرسائل القطعية.

أيضاً يسمى علم العقيدة بالفقه الأكبر وهذا يطلق في مقابلة الفقه الأصغر وهو علم الأحكام الفروعية للتفصيلية.

إذن الفقه الأكبر هو الذ يطلق في مقابلة الفقه الأصغر أو الفقه الخاص بالأحكام الفروعية.

مثل: أشهر كتاب في هذه المسألة وهو "الفقه الأكبر" لأبي حنيفة،

وطبعاً هذا الكتاب منسوب لأبي حنيفة وبعض العلماء تحقق أنهم ليس له،

إنما هو منسوب فقط لأبي حنيفة.

أيضاً من الأسماء التي تطلق على علم العقيدة **الشريعة**،

ويقصد بها الشريعة بالمعنى العام أي ما شرعه الله عز وجل وما شرعه الرسول

ﷺ من سنن الهدى وأعظمها أصول الدين.

مثل: كتاب "الشريعة" للأمام الأجوري، وكتاب "الإبانة عن طريق الفرقة الناجية"

لابن بطة، وابن بطة له الإبانة الصغرى والإبانة الكبرى.

هذا أيضاً عند أهل السنة يطلق عليه **علم الإيمان**،

مثل: كتاب "الإيمان" لابن منده، ومثل كتاب "الإيمان" لابن تيمية وغيرهم.

وإن كان كتاب الإيمان لابن تيمية يعني بمسألة الإيمان فقط.

هذه أشهر إطلاقات أهل العلم على العقيدة.

وغير أهل السنة مثل الأشاعرة و الماتريدية والمعتزلة وغيرهم يسموا مباحث علم العقيدة عندهم بعدة أسماء: فمن ضمنها علم الكلام، وهذا منتشر جداً عند المعتزلة والأشاعرة وغيرهم ممن يتخذ القواعد المنطقية أساساً لتقرير مسائل هذا العلم.

كذلك يُطلق عليه الفلسفة وهذا حتى موجود في جامعة الأزهر يقول لك قسم عقيدة وفلسفة.

ولماذا يسمى بالفلسفة؟

لأنه فيلوصفيا أو هناك مقطع بمعنى محب، فصوفيا الحكمة،

أي محب الحكمة، وأصل الفلسفة هي البحث في أصول الأشياء،

فكأن علم العقيدة عندما يبحث في خلق السموات والأرض والأنبياء ومن خلق الكون وغير هذا، فيطلق عليه الفلسفة في هذا الباب.

أيضاً بعض الناس يطلقوا عليه علم التصوّف،

وهذا ما فعله كثير من المستشرقين أنهم سموا هذا العلم بعلم التصوّف.

وأيضاً يطلق عليه علم الإلهيات، وهذه التسمية مأخوذة من فلاسفة أوروبا فيما كانوا يطلقونه عندهم على الأمور المبهمة التي ليس عندهم فيها أي بيان أو أي وحي فكانوا يسمونها الألهيات أي الأمور الغيبية.

كذلك يطلق عليه الميتافيزيقا أو ما وراء الطبيعة،

وهذا أيضاً في بعض الإطلاقات وبعض الموسوعات العلمية يسموه بهذا الاسم.

فمسألة الأسماء هذه مهمة بأن تعرف أن بها سعة ولكن "لا مشاحاة في الاصطلاح" لن تفرق معا سنسميه أي اسم، لكن في النهاية نعلم المسائل المتفرقة في هذا الباب.

كثيراً جداً ما نسمع كلمة أهل السنة والجماعة، وعقيدة أهل السنة والجماعة،

من هم أهل السنة والجماعة؟ ولماذا هم خصيصاً؟

أهل السنة والجماعة إذا أحببنا أن نفكك هذا المصطلح إلى جزئين فيكون

سنة، وجماعة.

السنة في اللغة: أي الطريقة.

المقصود بها طريقة من ؟

طريقة النبي ﷺ وصحابته ومن سار على نهجه.

لماذا طريقة النبي ﷺ والصحابة؟

النبي ﷺ هو الرسول المبلغ عن ربه سبحانه وتعالى،

ولماذا طريقة الصحابة؟

لأن الله تعالى قال في القرآن في سورة البقرة { فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا}[البقرة : ١٣٧]

إذن الخطاب كان منزّل للصحابة،

فَإِنْ آمَنُوا: أي آمن الناس.

بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا: هذه المثلية هي التي جعلتنا نتمسك بسنن الصحابة.

فالسنة في اللغة: هي الطريقة والسيرة.

السنة في الاصطلاح: هي الطريقة أو الهدي الذي كان عليه النبي ﷺ وأصحابه علماً واعتقاداً وقولاً وعملاً.

أما الجماعة: فهي مأخوذة من الاجتماع وهو ضد التفرق،

وجماعة القوم هم من اجتمعوا على أمر ما،

والجماعة وردت في النصوص الشرعية ووردت في حديث معاوية ابن أبي سفيان رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : "إنَّ أَهلَ الكتابِ قبلَكم تفرَّقوا علَى اثنتينِ وسبعينَ فرقةً في الأَهواءِ ألا وإنَّ هذِه الأمَّةَ ستفترِقُ علَى ثلاثٍ وسبعينَ فِرقةً في الأَهواءِ كلُّها في النَّارِ إلَّا واحدةً وَهيَ "

الراوي:معاوية بن أبي سفيان المحدث:الألباني – المصدر:تخريج كتاب السنة– الصفحة أو الرقم:٢ خلاصة حكم المحدث:صحيح لغيره

وعلى هذا نسأل سؤال، هل يجب لزوم الجماعة؟

نعم، يجب لزوم الجماعة بهذا المعنى وهو معنى المنهج.

إذن الجماعة هنا بمعنى المنهج،

فلا يجوز لأحد أن يخرج خارج اعتقادات الصحابة وطريقتهم في العلم

والعمل الشرعي، وهذا كله فيما يتعلق بالأمور الشرعية.

أما مسألة التطورات الدنيوية مثل البناء والتشييد، والتطور في الطب والهندسة وما إلى ذلك، هذا مما أذنت فيه الشريعة وحضت عليه وحثّت عليه.

سنتكلم في الأمور الشرعية، فلا يجوز أن الصحابة أجمعوا على أن الله سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه بائن من خلقه،

لا يجوز لأي أحد أن يقول أن هذا الكلام خطأ، أنا لي نظرة أخرى!!!!

فلا يوجد شيء اسمه استوى فهي استولى، ويقولوا بأن هذا الكلام خطأ!!!

فلا يجوز ذلك لأنك بذلك تكون قد خالفت اجماع الصحابة .

إذن الجماعة المعنى هنا المنهج وهذا المعنى المشهور الذي ذكره ابن مسعود عندما قال: "أنت الجماعة ولو كنت وحدك"

كيف ذلك؟ بأنك لو كنت على منهج الحق ولو كنت وحدك فأنت الجماعة .

إذن الجماعة بهذا المصطلح هي جماعة المسلمين أو جماعة الصحابة ومن تبعهم بإحسان إذا اجتمعوا على أمر وهو بمعنى المنهج.

هل هناك معنى آخر للجماعة يلزم الأخذ به أو يلزم لزومه؟

أي هل هناك جماعة معينة لابد لكل الناس أن تنتسب إليها؟

هناك جماعة لابد لكل المسلمين أن يلتزموا بها ولو خرجوا عنها يكونوا آثمين وهي جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على إمام، مثل: الصحابة عندما اجتمعوا على أبو بكر،

هل كان يجوز لأحد أن يقول أنا لا أوافق على أبو بكر خليفة؟

لا يجوز.

ولكن هناك خطأ فادح وقاتل يحدث هذه الأيام،

أنهم يحاولوا أن يجعلوا رئيس الجمهورية وهو منصب إداري ومدني وتنفيذي

وهذا بعيد جداً عن هذا المنصب الشرعي ويعطوه صفات من الإمام!!

وهذا خطأ وهذا خلط في الأوراق والمفاهيم،

أنك تريد أن تأتي بالدولة الحديثة بنظامها الحديث وآلياتها ووضعها الحديث،

وتُلْبشس هذا النظام في نظام الإمامة الشرعية،

وترتب عليه أحكام شرعية!!

هذا خلط في الأوراق والمفاهيم، ويفضي إلى مفاسد،

ويخرج كل الناس ويقولوا أنتم تتاجروا باسم الدين،

ما الذي أدخل هذا في ذاك!!

وهذا يؤدي إلى مشاكل كبيرة جداً، ونحن ننبه على هذا .

إذن هناك معنى آخر للجماعة ويجب لزومه وهو إذا اجتمع المسلمون على إمام.

من هو الإمام؟ وما هي مواصفاته؟

أليس ببني آدم مثلنا؟

نعم هو بني آدم مثلنا ولكن له شرطان:

أنه يتولى باسم الدين أو لحراسة الدين وسياسة الدنيا بالدين.

وسياسة الدنيا بالدين أي أنظمة المجتمع النظام الاجتماعي والنظام الاقتصادي والنظام العسكري والنظام الإعلامي والتعليم ونظام الحسبة وهو الأمر والنهي، وللعلم الصورة المتطورة لنظام الحسبة هي الشرطة،

فماذا تفعل الشرطة عندما ينصلح حالها وتعمل جيداً؟

تأمر عن المعروف وتنهى عن المنكر،

هناك قانون الناس ملزمة به من يخرج عنه يقوّموه بالعافية أو يحبسوه،

هذه هي الحسبة أن تكون له السلطة في تنفيذ ذلك.

والصورة المتطورة والصورة الحقيقة لنظام الحسبة هي الشرطة.

فلو أنك تعيش في دولة قوانينها كلها شرعية وليكن مثلاً أنه يجرّم الفطر في رمضان، أي أن هذه جريمة قانونية،

إذن الشرطة إذا رأت واحد يفطر في رمضان يطلبوا منه البطاقة،

ووجدوا أن اسمه محمد عبد الله،

يسألوه هل بك مرض أو أنت على سفر؟

لا ، فيدخلوه السجن ويأتوا له بأحد يوعظه،

ويقول له لماذا تفطر؟ ألم تدري أن ذلك من الكبائر؟

فإذا فعلها مرة أخرى يسجلوه مسجل خطر !!

فهذه صورة مبسطة جداً، ولكن الواقع الذي يحدث الآن ليس كذلك.

فلا يجوز أن آتي بواحد رئيس جمهورية تولّى باسم الدستور صلاحياته في الدستور محددة، فليس من حقه أن يصدر تشريعات فهذا من حق مجلس النواب، وليس من حقه إعلان الحرب،

وليس من حقه أن يصادر كتاب يهاجم الإسلام فهذا عمل شيخ الأزهر.

فتجد أن مهمة الإمام الموجودة في السياسة الشرعية لدينا متوزّعة في نظام الدولة الحديثة على ثلاث أو أربع سلطات.

فهذه نقطة هامة للوصول إلى أن الجماعة لها معنيان:

المعنى الأول : المنهج؛ وهذا واجب على كل مسلم ألا يخرج عن الجماعة بهذا المعنى.

المعنى الثاني: هو جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على إمام والإمام هو من يتولى لحراسة الدين وسياسة الدنيا بالدين.

كلمة السلف، من هم السلف؟

سلف الأمة في اللغة : هو من تقدمك، وآبائك المتقدمون يقال عليهم سلفك.

السلف في الاصطلاح: هم الصحابة والتابعون والآئمة المتبوعون ممن سار على هديهم.

بناء على هذا عندما يكون أهل السنة والجماعة هم المتمسكون بسنة رسول الله ﷺ الذين اجتمعوا على ذلك وهم الصحابة والتابعون وآئمة الهدى المتّبعون لهم ومن سلك سبيلهم في القول والاعتقاد والعمل إلى يوم الدين.

الذين استقاموا على الاتباع وتجنبوا الابتداع في أي مكان وزمان.

فبالتالي لو هناك واحد يعيش في عهد الصحابة وكان مبتدع، هل سيكون من أهل السنة والجماعة؟

لا، لأنه ليس على الجماعة ولا على المنهج.

كذلك الحال لو واحد جاء بعد الصحابة بقرون طويلة ولكن كان على نفس المنهج إذن يكون من أهل السنة والجماعة.

إذن العبرة ليست بالزمان فقط، إنما العبرة بلزوم المنهج.

ما مصادر علم العقيدة؟

العقيدة لها مصدران أساسيان هما:

-كتاب الله عز وجل (القرآن الكريم).

-وسنة النبي ﷺ ما ثبت منها وما صح منها.

إذن هذا العلم نأتي بمسائله ونحقق ونقرر مسائل علم العقيدة من القرآن ومن السنة الصحيحة الثابتة.

-وكذلك من الإجماع

وهذا الإجماع عائد إلى إجماع القرآن والسنة.

هناك أيضاً مصدران معنا في العقيدة ويهتدى بهم إجمالاً،

ويدعموا الكتاب والسنة وهما:

العقل والفطرة.

العقل يستقل ببعض مسائل العقيدة إجمالاً،

فالعقل يقول أن هذا الكون له خالق ولم يأتي وحده،

فهذا عقل.

العقل يقول أن هؤلاء الرسل أكمل الناس خُلُقاً لكي يستطيعوا أن يوجّهوا الناس.

إذن العقل سيتوصل لبعض مسائل العقيدة إجمالاً وليس تفصيلاً.

والفطرة والعقل السليم وهما مؤيدان ويوافقان الكتاب والسنة،

ويدركان أصول الاعتقاد على الإجمال لا على التفصيل،

فالعقل والفطرة يدركان وجود الله وعظمته وضرورة طاعته وعبادته،

العظمة والجلال على وجه العموم.

كما أن العقل والفطرة السليمين يدركان ضرورة النبوات وإرسال الرسل،

وضرورة البعث والجزاء على الأعمال على الإجمال لا على التفصيل.

وبذلك نكون قد علما ما معنى كلمة عقيدة، وأسماء هذا الفن، وكلام العلماء على أهل السنة والجماعة، ومن هم أهل السنة والجماعة، وكلام العلماء عن

مصادر تلقي علم العقيدة.

يبقى معنا بداية الكتاب.

ففي مقدمة الكتاب يقول:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله

الذي أكمل لنا الدين وأتمَّ علينا النعمة، وجعل أمَّتنا –أمَّة الإسلام– خيرَ أمَّة، وبعث فينا رسولًا منَّا يتلو علينا آياته ويزكينا،ويعلِّمنا الكتاب والحكمة، والصلاة والسلام على مَن أرسله الله للعالمين رحمة، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه

أما بعد:

فإنَّ الحكمة من خلق الجن والإنس هي عبادة الله وحده،

كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]

ولذا كان التوحيد والعقيدة الصحيحة المأخوذةُ من منبعها الأصلي وموردها

المبارك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي الغاية لتحقيق تلك العبادة.

الله سبحانه وتعالى لم يتركنا سدى وهملا، ولم يتركنا حتى نستنتج الغاية التي من أجلها خُلقنا، وهذه أحد الأسئلة الفطرية التي تحتاج إجابة من أحدنا،

لماذا خُلقت؟

هناك شاعر نصراني اسمه إيليا أبو ماضي له ديوان يسمى " ديوان الجداول" وله قصيدة مشهورة جداً لأن بعض المطربين غنّاها، قصيدة تسمى قصيدة

الطلاسم،

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت فأبصرت قدامي طريقاً فمشيته

هو يتسائل هو من أين وإلى أين ذاهب،

لماذا وُلدت؟ ويطرح كثير من الأسئلة العبثية،

إذا كان الموت عقوبة فأي ذنب للطهارة،

كل الناس تموت الجيد والغير جيد،

فإذا كان الموت عقوبة فما ذنب الطهارة؟

وإذا كان الموت شرف فأي فضل للدعارة؟

أي أنه إذا كان الموت تكريم فكل الناس تموت،

فهناك أسئلة لابد للإنسان أن يسألها لنفسه،

وهي أسئلة فطرية،

السؤال الأول: مثل أين كنت قبل أن أُولد؟

السؤال الثاني: ما هي أصل النشأة؟

السؤال الثالث: لماذا خلقنا الله في هذه الحياة؟

السؤال الرابع: إلى أين نحن ذاهبون بعد مغادرة الدنيا؟

والقرآن أجاب على كل هذه الأسئلة.

مثل أين كنت قبل أن أُولد؟

{ هَلْ أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا} [الإنسان : ١]

إذن أصل النشأة { وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ } [المؤمنون ١٢-١٣]

وأتى لك بخلق آدم بالتفصيل،

وأحد علماء علم الأجنة وهو الإيدولوجي أسلم،

وكان عالم يمني في انجلترا وهذا العالم الإنجليزي في الستينات توصلوا

لمراحل تخلق الجنين، فقالوا أن هذا الكلام موجود في القرآن ووجد هذه المراحل بالظبط،

فلم يصدقه وأتى بنسخة من المصحف من انجلترا من المكتبة القومية ،

فارجع إلى خمس قرون مخطوطة لكي تتأكد من النسخة المنزلة فعلاً من القرآن،

فأتى بنسخة مخطوطة من عندهم فعلاً ووجد ذلك فأسلم.

فالقرآن أجاب على من أين أتيت وأصل النشأة.

لماذا خُلقت؟

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]

تحقيق العبادة، وسيأتي معنا بالتفصيل أثناء الشرح، ما هي أنواع العبادة وما هي أركانها وما إلى ذلك.

وإلى أين سأذهب بعد ذلك؟

قال تعالى {إِلَيْهِ الْمَصِيرُ} [غافر:٣]

ذاهب إلى الله تعالى.

فماذا سيفعل به؟

{فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ} [المائدة:٧]

من سلك طريقا ورد على أهلها؛ الجنة لها طريق وأعمال ومن يريد أن يدخلها يعمل لها،

والسعير والعياذ بالله لها طريق وأعمال ،

إذن هذه نقطة هامة جداً.

ولذا كان التوحيد والعقيدة الصحيحة المأخوذةُ من منبعها الأصلي وموردها المبارك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هي الغاية لتحقيق تلك العبادة.

فهي الأساس لعمارة هذا الكون.

إذن هذه من فوائد العقيدة أنه لا يمكن إقامة حضارة حقيقة بمعنى كلمة حضارة إلا بناء على العقيدة.

أما ما عند الغرب فيسمى تَقَدُّم أوتطور، لا نريد أن نقف عند المصطلحات

ولكن أريد أن أقول أن الحضارة لابد فيها من معنين:

جانب روحي وجانب أخلاق وأداب مع الجانب المادي.

كما قال الله تعالى:

﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾

[الأنبياء: ٢٢]،

وقال سبحانه: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق: ١٢].

إلى غير ذلك من الآيات.

ولمَّا كان غير ممكن للعقول أن تستقلَّ بمعرفة تفاصيل ذلك.

إذن هنا هو يركز على ما يغيب عن العقول في العقيدة وهي تفاصيل، الإجمال ممكن العقول تهتدي ببعضه،لكن التفاصيل مستحيل لعقله،

فأنت ستتكتشف أو تهتدي بعقلك أن هذا الكون له خالق،

لكن من أين يأتي للعقل أن من صفات هذا الخالق الضحك؟

من أين تأتي بعقلك أن من صفات هذا الخالق أنه ينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل؟

هذه لا تستطيع أن تصل إليها بالعقل،

من أين تأتي بالعقل أن يوم القيامة يوم مقداره خمسين ألف سنة؟

كيف يصل إلى ذلك العقل؟

إذن:

ولما كان غير ممكن للعقول أن تستقلّ بمعرفة تفاصيل ذلك.

قد تصل إلى الإجماليات.

بعض الناس المصمم أن يُقحم العقل في هذه المعركة، ماذا نقول له؟

نقول له أنت تهدر طاقة العقل وتزدريه لماذا؟

إذا قلت لك الآن ماذا يحدث في الخارج،

هل ترى ماذا يحدث في الشارع؟

لا، لماذا؟

لأن عينك لها قدرة واحدة لا تستطيع أن ترى ما وراء الجدران،

لها طاقة ولها آخر.

وأذنك لا تستطيع أن تسمع بها ما يحدث على بعد كيلو،

لماذا لأن كل حاسة من الحواس لها آخر ولها مجال تؤثر فيه أو تتأثر به ،

كذلك العقل فمثلا شخص مُصِرّ أن يصل بعقله إلى تفاصيل الغيبيات فماذا يفعل؟

يبدد طاقة العقل فيما لا طائل من وراءه ثم بعد ذلك يقع في مسائل الضلالات والشطحات الافتراءات وغيرها.

وأوقات يُلحد.

إذن ولما كان غير ممكن للعقول أن تستقلَّ بمعرفة تفاصيل ذلك.

من رحمة ربنا،

بعث الله رسلَه وأنزل كتبَه؛ لإيضاحه وبيانه وتفصيله للناس حتى يقوموا بعبادة الله على علم وبصيرة وأسسٍ واضحةٍ ودعائم قويةٍ.

الرسول مأخوذة من اسمه أي أتى برسالة،

من الذي أرسله برسالة؟

رب العالمين وهي رحمة من الله، نزّل الرسل وأنزل معهم الكتب فيها تفاصيل ما أراده الله سبحانه وتعالى.

فتتابع رسلُ الله على تبليغه، وتوالوا في بيانه كما قال سبحانه:

﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [فاطر: ٢٤]،

وقال سبحانه: ﴿ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَى﴾ [المؤمنون: ٤٤]،

تَتْرَى : أي يتبع بعضُهم بعضًا،

إلى أن ختمهم بسيِّدهم وأفضلهم وإمامهم نبيِّنا محمد ﷺ فبَلّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح الأمَّة، وجاهد في الله حقَّ جهاده ودعا إلى الله سرًّا وجهرًا،

وقام بأعباء الرسالة أكملَ قيام، وأوذيَ في الله أشدَّ الأذى،

فصبر كما صبر أولو العزم من الرسل.

ولم يزل داعيًا إلى الله هاديًا إلى صراطه المستقيم حتى أظهر الله به الدِّين،

وأتم به النِّعمة، ودخل الناس بسبب دعوته في دين الله أفواجًا،
ولم يَمُت ﷺ حتى أكمل الله به الدِّين وأتمَّ به النِّعمة.

إذن أنت عندك صورة تطبيقية ودورة كاملة بدأت من الصفر أو قريب من الصفر حتى وصلت إلى الذروة، وهي دورة حياة النبي ﷺ في تحمله لقضية الإسلام، وأعباء الرسالة ثم لم يمت حتى قال الله عز وجل :
﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

إذن أي من منهج من مناهج الإصلاح من يريد أن يُصلح الدنيا ويُصلح أحوال الناس لديه رصيد معرفي وعلم نظري من أحاديث النبي ﷺ ومن الآيات ومن المنقول عن حياته ﷺ، هذا رصيد علمي ومعرفي ولديه رصيد آخر تجربة تطبيقية واقعية وليس مجرد كلام نظري فقط،
وليس مجرد تأصيل نظري وفلسفي للمسألة والواقع بعيد عنها لا،
إذن أنت لديك الشقين الآن.

الآن لو أنت فعلاً تريد أن تقوم بتجربة إصلاحية حقيقية،

الدنيا واضحة :

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب:٢١]

إذن أصل منهج التغيير قائم على هذه الجزئية،

النبي بُعث ﷺ والأرض مطبقة بالظلام،

قال ﷺ ":وإنَّ اللهَ نظر إلى أهلِ الأرضِ فمقتَهم ، عربِهم وعجمهم ، إلا بقايا من أهلِ الكتابِ ."

الراوي:عياض بن حمارالمحدث:مسلم - المصدر:صحيح مسلم- الصفحة أو الرقم:٢٨٦٥

خلاصة حكم المحدث:صحيح

أرض سوداء والنبي ﷺأرسل في هذه الحالة ،

ولما مات الرسول ﷺ أنزل الله قوله :

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

ما بين هذين الاثنين دورة حياة كاملة،

فيها حرب وسِلْم، فيها أخذ ورد، فيها كل هذه المعاني،

إذن في النهاية عندك رصيد نظري ومعرفي وعندك تجربة واقعية تطبيقية لما يحدث.

فبيَّن صلوات الله وسلامه عليه الدين كلَّه أصوله وفروعه،

كما قال مالك إمام دار الهجرة –مالك بن أنس رحمه الله–: «مُحال أن يُظنَّ بالنبي ﷺ أنه علَّم أمته الاستنجاء ولم يعلمهم التوحيد».

انظر إلى هذا الاستدلال الرائع، وهذا شيء نريد أن ننبه عليه أيضاً،

لا تظن أخي العلماء الأفذاذ هؤلاء كانوا ناس بسطاء!!

لا.. هؤلاء كانوا أذكياء العالم، يعني مالك والشافعي وأحمد وأبوحنيفة، والزهري هؤلاء هم أذكياء العالم،

كانت قدراتهم وعقولهم في غاية الوصف في الحدة والذكاء،

هداهم الله فوجهوا كل الطاقة العقلية إلى التعامل مع النصوص الشرعية والأخذ

منها.

بعض الناس ممن عاصروهم ولكن كان عندهم زكاء فذ وحُرموا هذا الهدى،

مثل: واصل بن عطاء ومثل: عمرو بن عبيد وغير هؤلاء كانوا أذكياء أيضاً،

والجاحظ والعلام وابن الجبار كل هؤلاء كانوا أذكياء ولكن حُرموا الهدى،

فدخل بذكاءه اتجاه آخر،

بالضبط مثل هذه الأيام ممكن أن تجد شخص عالم فذ عاقل مثل الدكتور

زغلول النجار وواحد آخر مناظر له تماماً،

عالم أيضاً ولكنه مُلحد، الاثنان علماء وعقول نيّرة ولكن هناك واحد ربنا هاديه

والآخر ليس مهتدياً.

فانظر إلى الإمام مالك يقول مُحال أن يُظنَّ بالنبي ﷺ أنه علَّم أمته الاستنجاء

ولم يعلمهم التوحيد».

إذن لابد أن يكون علّمنا النبي ﷺ التوحيد،

وهو يرد بهذا الكلام على المعتزلة أو المبتدعة ممن يرفضون أن يأخذوا

أحاديث الآحاد في العقيدة،

فنقول له كيف تتوضأ؟

ومن أين أتيت بكيفية الوضوء والاستنجاء وهذه الأحكام؟

أليس برواية الصحابة ومن تبعهم بإسناد حتى النبي ﷺ؟

أليس هم من رووا أحاديث الاستنجاء والطهارة والوضوء والصلاة وما إلى ذلك؟

فأنت يا معتزلي تتوضأ وتصلي هكذا ومقتنع أن النبي ﷺ قال هذا الكلام،

فمستحيل أن يكون النبي ﷺ عَلَّم الناس كيف يستنجوا ولم يعلمهم كيف يحبوا ربنا.

فأي المسألتين أعظم!!!!

أرأيت كيف أن الإمام مالك كان عقله وافرا

وقد كان ﷺ داعيةً إلى توحيد الله وإخلاص الدِّين لله ونبذ الشرك كلِّه كبيرِه وصغيره شأن جميعِ المرسلين؛ إذ أنَّ الرسلَ كلَّهم متَّفقون على ذلك، متضافرون على الدعوة إليه،

بل هو منطلقُ دعوتهم وزبدة رسالتهم وأساس بعثتهم،

يقول الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦]،

وقال: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]،

وقال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥]،

وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ ولَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣]،

وقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أَنه قال: «الأنبياء إخوة لعلَّات، أمَّهاتُهم شتَّى ودينُهم واحد»

الراوي:أبو هريرةالمحدث:البخاري – المصدر:صحيح البخاري– الصفحة أو الرقم:٣٤٤٣

خلاصة حكم المحدث:[صحيح]

لعلَّات : أي الضرائر، عندما يتزوج الرجل أكثر من امرأة يسموا علات.

فما معنى ذلك؟

أن لو هناك رجل له ثلاث أو أربع زوجات ولاد الزوجات يكونوا أخوة لأب،

فأبوهم واحد وأمهاتهم شتى،

فالأنبياء كذلك دينهم واحد،

ما الدين الذي بُعثوا به؟

الإسلام، أي التوحيد وهو الاستسلام لله عز وجل بالتوحيد والانقياد له بالطاعة،

كل الأنبياء كذلك، فكل الأنبياء قالوا " اعبدوا الله ما لكم من إله غيره"

إذن دينهم واحد وأبوهم واحد وأمهاتهم شتى،

وما هي أمهاتهم؟

أي الشرائع، فهناك بعض الأنبياء كان عندهم الصيام بطريقة وبعضهم ذلك خُفِف عنهم،كان هناك تشديدات على بعض الأمم وخفف على بعض الأمم، إلى غير ذلك.

«الأنبياء إخوة لعلَّات، أمَّهاتُهم شتَّى ودينُهم واحد»

فالدين واحد والعقيدة واحدةٌ، وإنَّما حصل التنوُّعُ بينهم في الشرائع،

كما قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة: ٤٨].

ولذا ينبغي أن يكون متقرِّرا لدى كلِّ مسلم وواضحا لدى كلِّ مؤمن أنَّ العقيدة لا مجال فيها للرأي والأخذ والعطاء،

وإنَّما الواجب على كلِّ مسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرسلين.

ولكن هذا الكلام ليس على إطلاقه لأن هناك مسائل للعقيدة وَرَدَ فيها أقوال مختلفة عن الصحابة والتابعين الذين نرجعلهم، وهذه تسمى مسائل الخلاف السائغ.

يعني مثلاً الخضر نبي أم لا؟

مسألة مُخْتلف فيها بين العلماء،

ولكن هل تستطيع أن تقول هنا أنه يجب على كل المسلمين أن يعتقدوا رأي

واحد بأن الخضر نبي أم لا؟

لا هذه من المسائل السائغة.

هناك مسائل قليلة في العقيدة.

مسألة الرؤيا (رؤية المؤمنين ربهم يوم القيامة) أتكون خاصة للمؤمنين فقط أم تكون رؤيا لأهل الأرض كلهم ثم يُحجب المشركون ويراه المؤمنون؟

فهذا أيضاً خلاف بين أهل العلم في هذه المسألة.

بعض الآيات في القرآن مثل: { فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ}

[البقرة : ١١٥]

بعض العلماء يعيد هذه الآية إلى الصفات ويقولوا بأنها تدل على صفة الوجه، والبعض يقول لا ، الوجه هنا بمعنى الوجهة أو الجهة،

خلاف بين الصحابة وابن عباس وغيره وموجودة في تفسير ابن جرير بأسانيدها،

إذن نقول أن عامة مسائل العقيدة نعم هي قول واحد، ولكن يوجد في مسائل العقيدة بعض المسائل فيها خلاف سائغ.

وإنَّما الواجب على كلِّ مسلم في مشارق الأرض ومغاربها أن يعتقد عقيدة الأنبياء والمرسلين،

وأن يؤمن بالأصول التي آمنوا بها ودعوا إليها دون تشكُّكٍ أو تردُّدٍ،

قال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

فهذا شأنُ المؤمنين، وهذا سبيلهم: الإيمان والتسليم والإذعان والقبول،

وعندما يكون المؤمن كذلك ترافقه السلامة، ويتحقق له الأمن والأمان، وتزكو نفسُه، ويطمئنُّ قلبُه،

ويكون بعيدًا تمام البعد عمَّا يقع فيه ضُلَّال الناس بسبب عقائدهم الباطلة من تناقض واضطراب وشكوك وأوهام وحَيرة وتذبذب.

والعقيدة الإسلامية الصحيحة بأصولها الثابتة وأسسها السليمة وقواعدها المتينة هي –دون غيرها– التي تحقِّق للناس سعادتهم ورفعتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة. وذلك لوضوح معالمها، وصحَّة دلائلها، وسلامة براهينها وحججها،

ولموافقتها للفطرة السليمة والعقول الصحيحة والقلوب السويَّة.

ولهذا فإنّ العالَمَ الإسلامي كلّه في أشدِّ الحاجة إلى معرفة هذه العقيدة الصافية النقيَّة؛ إذ هي قطبُ سعادته الذي عليه تدور، ومستقر نجاته الذي عنه لا تحور.

وفي هذا المؤلَّف الوجيز يجد المسلم أصولَ العقيدة الإسلامية وأهمَّ أسسها وأبرزَ أصولها ومعالمها ممَّا لا غنى لمسلم عنه،
ويجد ذلك كله مقرونا بدليله، مدعَّمًا بشواهده،
فهو كتاب مشتمل على أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة،
وهي أصول عظيمة موروثة عن الرسل، ظاهرة غاية الظهور، يمكن لكل مميِّز من صغير وكبير أن يُدركها بأقصر زمان وأوجز مدَّة، والتوفيق بيد الله وحده.

ويتقدم هنا طبعاً بالشكر لمن ألفوا الكتاب وراجعوه وغير هذا.

نقف هنا بإذن الله عز وجل ونستكمل في المرة القادمة إن شاء الله مع بداية فصل الباب الأول الإيمان بالله وتوحيده.